ولا تبعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها ولا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول قولا قط الا علمت انه حق وقال عمر رضي الله عنه ما ابالي اصبحت على يسر او عسر لاني لا ادري
ايهما خير لي وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما اصبحت على حال فتمنيت غيرها وقال عثمان رضي الله عنه
ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو سفيان
لاهله حين حضرته الوفاة لا تبكوا علي فاني ما احدثت ذنبا منذ اسلمت وقال عمر بن عبد العزيز
ما قضى الله لي بقضاء فسرني ان يكون قضى لي بغيره وما اصبح لي هوى الا في مواقع قدر الله ف
هذه كلها اظهار لاحوال شريفة وفيها غاية المراءاة اذا صدرت ممن يرائي بها وفيها غاية الترغيب
اذا صدرت ممن يقتدى به فذلك على قصد الاقتداء جائز للاقوياء بالشروط التي ذكرناها فلا
ينبغي ان يسد باب اظهار الاعمال فالطباع مجبولة على التشبه والاقتداء بل اظهار المرائي
للعبادة اذا لم يعلم الناس انه رياء فيه خير كثير للناس ولكنه شر للمرائي وكم من مخلص
كان سبب اخلاصه الاقتداء بمن هو مراء عند الله وقيل كان يجتاز الانسان في طرق البصرة
عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقران في البيوت وصنف بعضهم كتابا في دقائق الرياء
فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف فاظهار المرائي
فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه فان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا
خلاق لهم وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة
اطلاع الناس عليها وكراهة ذمهم له اعلم ان الاصل في الاخلاص استواء السريرة والعلانية
كما قال عمر رضي الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية فقال يا امير المؤمنين وما هو قال ما اذا اطلع عليك
فيه لم تستحي منه وقال ابو مسلم الخولاني رحمه الله ما عملت عملا ابالي ان يطلع الناس علي
الا اتياني اهلي والغائط الا ان هذه درجة عظيمة لا ينالها كل احد ولا يخلو الانسان عن ذنوب
بقلبه وجوارحه وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر في الشهوات
والاماني والله مطلع على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائه عن العبيد ربما يظن انه رياء محظور
وليس كذلك بل المحظور ان يستر ذلك ليرى الناس انه ورع خائف من الله وهو ليس كذلك
فهذا هو ستر المرائي واما الصادق الذي لا يرائي فله ان يستر المعاصي ويصح قصده في ذلك

ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه من ثمانية اوجه ١ هو ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح
اغتم بهتك ستره وخاف ان يهتك ستره يوم القيامة اذ ورد ان من ستر عليه في الدنيا ستر عليه
في الاخرة وهذا غم ينشأ من قوة الايمان ٢ قد علم ان الله يكره ظهور المعاصي ويحب سترها
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وهو ان عصى
الله بالذنب فلم يخل قلبه من محبة ما احبه الله وهذا ايضا ينشأ من قوة الايمان بكراهة الله
ظهور المعاصي واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا ويغتم بسببه ٣ ان
يكره ذم الناس له من حيث انه يغمه ويشغل قلبه عن طاعة الله فان الطبع يتأذى
بالذم ويشتغل عن الطاعة ولهذه العلة ايضا ينبغي ان يكره الحمد الذي يشغله عن الله ويستغرق
قلبه وهذا ايضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة من الايمان
٤ ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يؤذي قلبه فان الذم
مؤلم للقلب كما ان الضرب مؤلم للبدن وتألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص
وانما يعصي اذا جزعت نفسه من ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز خوفا من ذمهم وليس
يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به نعم من تمام الصدق ان تزول عنه رؤية
الخلق فيستوي عنده ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله وحده لا شريك له
وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا واكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور
بالنقصان ورب متألم بالذم محمود اذا كان الذام من اهل البصيرة في الدين فانهم شهداء
الله تعالى وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى نقصان الدين فكيف لا يغتم به بل الغم المذموم
هو ان يغتم لفوات الحمد بالورع كانه يحب ان يحمد بالورع ولا يجوز ان يحب ان
يحمد بطاعة الله فيكون قد طلب بطاعة الله ثوابا من غير الله فان وجد ذلك في نفسه وجب
عليه ان يقابله بالكراهة والرد واما كراهته للذم بالمعصية من حيث الطبع فليس
بمذموم فله الستر حذرا من ذلك ويتصور ان يكون العبد بحيث لا يحب الحمد ولكن
يكره الذم وانما مراده ان يتركه الناس ذاما وحامدا فكم من صابر عن لذة الحمد ولا يصبر
على الم الذم اذ الحمد طلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم واما الذم فانه مؤلم فحب الحمد على الطاعة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)